

فضيلة التسامح أ. نويغة الصحفي



الحمد لله وكفى، وسلاماً على عباده الذين اصطفى؛ لكل خلق فضل، ولكل فضل مكانة، ومن بين هذه الأخلاق خلق التسامح والعفو، وهو ترك الانتصار للنفس، والتنازل عن بعض الحقوق؛ فالتسامح كلمة رائعة في اللفظ وفي المعنى والأثر، مُجَبِّة إلى النفوس المؤمنة التقية، لكنّها كغيرها من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق لا تأتي في أوّل الأمر بسهولة تافهة، ولا تنقاد لمن طلبها براحة بالٍ، بل لا بُدَّ عند الإقدام عليها من مُجاهدةٍ للنفس وتجرُّع شيء من الألم.

لذلك لا يقدم عليها إلا أهل البصائر المستتيرة، ولا يعرف قيمتها إلا أصحاب القلوب النديّة والنفوس الرضيّة، الذين يستشرفون أن يعيشوا حياتهم مع من حولهم بارتياح وطمأنينة، ومحبة ووثام، ولذلك رتب الله تعالى عليها أجر عظيم، يقول الله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وعن عبادة بن الصامت أنه قال: "يا نبي الله أي العمل أفضل؟ قال: "الإيمان بالله والتصديق به و الجهاد في سبيله" قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال: "السماحة والصبر".

فالعفو والصفح والتسامح من أبواب الإحسان؛ ونيل الرحمة والغفران وجزيل الثواب؛ فالتسامح بلسم للروح وراحة للجسم؛ بل أن أهل العفو هم الأقرب لتحقيق تقوى الله جل وعلا؛ قال الله تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) ولو تأمل الناس قليلاً في جلم الله عز وجل على المخلوقين، وصفح عن زلاتهم وعفوه عنهم لرفعوا التسامح شعاراً، واتخذوه مبدأً.

فالتسامح كالشجرة التي لا تبخل بالظل حتى على من ينوي تكسير أغصانها، وقطف ثمارها، والأليل من قامتها الشقاء، لأنه من الصعب أن نتخيل الحياة بدون العفو، مثلها الصباغ؛ هل نستطيع أن نتخيله من غير أمل؟ أو الأوممة من غير حنان؟ طبعاً لا يمكن ذلك، فالإنسان يعيش على الأمل والله يعطيه فيرضيه.

ومن سمات المتسامح أنه لا يحقد على إنسان، ولا يبغضه، أو ينال من شخصه، أو يجرح هيئته، لكنه يميز الفعل، وما شد من السلوك، متعهداً أخاه بالصلح، مقترباً منه؛ لأن القلوب إذا ما تباعدت تناقرت، ومن ثم خسر بعضها محبة بعض.

فتأملوا معي إخوتي الكرام هذه القصة جيداً، لنرى فيها أجمل صور العفو والتسامح والصفح؛ فهذا الإمام أحمد بن حنبل، جلده المعتصم حتى التأم جلده على جرح، فلما مات المعتصم قرر الأطباء أنه لابد من إجراء عملية جراحية، ليس فيها بنج ولا مخدر. فما كان سوى القطع والآلام والدماء النازفة، فلما عرض على الأطباء وبدأ الطبيب ببضع جلده وأصابه من مس الموس، قال متأوهاً متألماً: رحم الله المعتصم اللهم اغفر للمعتصم!

لا يحمل الحقد من تعلق به الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وقد يرى - للأسف - بعض الناس أن العفو ذل ومهانة وإهانة المرء لنفسه أمام الناس، وأن العزة في الانتقام، وهذا والله ثم والله مجانية الحقيقة؛ فالعز إنما هو في العفو، قال صلى الله عليه وسلم: فيما رواه الإمام مسلم ((وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا)) أي أن العفو لا يزيد صاحبه إلا عزاً ورفعاً وسموً وقدر في الدنيا والآخرة.

ختاماً أقول: انشروا التسامح بينكم، وساهموا في تقريبه من قلوب الناس؛ فالسماحة عنوان ودليل على مجتمع متآلف ومتراحم ومتعاطف.

تعالوا بنا نطوي الحديث الذي جرى
ولا سمع الواشي بذاك ولا درى

تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضا
ومثلما كان العهد لن يتغيرا

ولا تذكروا الذي كان بيننا
على أنه ما كان ذنباً فيذكرنا

لقد طال شرح القول والقييل بيننا
وما طال ذلك الشرح إلا ليقصرا

من اليوم تاريخ المحبة بيننا
عفا الله عن ذلك العتاب الذي جرى

فكم ليلة بتنا وكم بات بيننا
من الأّنس ما ينسى به طيب الكرى
أحاديث أّحلى في النفوس من العني
وألطف من مرّ النسيم إذا سرى

نويّفة الصحفي

مشرفة العلوم الشرعية بمكتب تعليم خليص